إليّ وأنزله عليّ ولو شاء ما فعل فلم يمكنني من تلاوته ولا مكّنكم من العلم به بل مكّنني
من تلاوته ومكّنكم من العلم به فلم تكونوا عالمين به ولا ببعضه ولم أكن
قبل أن يوحى إليّ تاليًا له ولا ببعضه فتأمل صحة هذا الدليل وحسن تأليفه
وظهور دلالته ومن هذا قوله سبحانه ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا
إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا وهذا هو المناسب لقوله أم يقولون
افترى على الله كذبا فإن يشاء الله يختم على قلبك ولقوله ولو تقوّل علينا بعض
الأقاويل لأخذنا منه باليمين فهو برهان مستقل مذكور في القرآن على
وجوه متعددة والله أعلم الثامن أن مثل هذا التركيب إنما جاء
في القرآن للنفي لا للإثبات كقوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا
إليك وقوله إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وقوله إن يشأ يسكن
الريح فيظللن رواكد على ظهره وقوله إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم
كسفا من السماء ونظائره لم يأت إلا فيما كان ما بعد فعل المشيئة منفيا
التاسع أن الختم على القلب لا يستلزم الصبر بل قد يختم على قلب
العبد ويسلبه صبره بل إذا ختم على القلب زال الصبر وضعف بخلاف الربط
على القلب فإنه يستلزم الصبر كما قال تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم
به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ومعنى الربط في اللغة الشد
ولهذا يقال لكل من صبر على أمر ربط قلبه كأنه حبس قلبه عن الاضطراب ومنه
يقال هو رابط الجأش وقد ظن الواحدي أن على زائدة والمعنى يربط قلوبكم
وليس كما ظن بل بين ربط الشيء والربط عليه فرق ظاهر فإنه يقال ربط الفرس
والدابة ولا يقال ربط عليها فإذا أحاط الرباط بالشيء وعمّه قيل ربط عليه
كأنه أحاط عليه بالرباط فلهذا قيل ربط على قلبه وكان أحسن من أن يقال ربط
قلبه والمقصود أن هنا الربط معه يكون الصبر أشد وأثبت بخلاف

الختم

الختم العاشر أن الختم هو شد القلب حتى لا يشعر ولا يفهم فهو مانع يمنع
العلم والقصد والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم قول أعدائه إنه افترى
القرآن ويشعر به فلم يجعل الله على قلبه مانعا من شعوره بذلك وعلمه به
فإذا قيل إنه مدرك لذلك وكيف جعل الله على قلبه مانعا من التأذي بقولهم قيل
هذا أولى أن لا يسمى ختما وقد كان يتأذى بقولهم ويحزنه كما قال تعالى قد نعلم
إنه ليحزنك الذي يقولون وكان وصول هذا الأذى إليه من كرامة
الله له فإنه لم يؤذ نبي ما أوذي فالقول في الآية هو قول قتادة
والله أعلم ثم أخبر سبحانه أن القرآن تذكرة للمتقين يتذكر به المتقي ما
فيبصرها ينفعه فيأتيه وما يضره فيجتنبه ويتذكر به أسماء الرب
تعالى وصفاته وأفعاله فيقوّمه ويتذكر به ثوابه وعقابه ووعده و
أمره ونهيه وآياته في أوليائه وأعدائه ونفسه وما يزكيها ويطهرها و
يعليها وما يدسيها ويخفيها ويحقرها ويذكر به علم المبدأ والمعاد والجنة
والنار وعلم الخير والشر فهو التذكرة على الحقيقة تذكرة حجة للعالمين ومنفعة
وهداية للمتقين ثم قال سبحانه وإنا لنعلم أن منكم مكذبين أي لا يخفون
علينا فنجازيهم بتكذيبهم ثم أخبر سبحانه أن رسوله وكلامه حسرة على
الكافرين إذا عاينوا حقيقة ما أخبر به كان تكذيبهم عليهم من أعظم الحسرات
حين لا ينفعهم التحسر وهكذا كل من كذب بحق وصدق بباطل فإنه إذا
انكشف له حقيقة ما كذب به وصدق به كان تكذيبه وتصديقه حسرة
عليه كمن فرّط فيما ينفعه وقت تحصيله حتى إذا اشتدت حاجته إليه وعاين
فوز المحصلين صار تفريطه عليه حسرة ثم أخبر سبحانه أن القرآن والرسول حق
اليقين فقيل هو من باب إضافة الموصوف إلى الصفة أي الحق اليقين نحو مسجد
الجامع وصلاة الأولى وهذا موضع يحتاج إلى تحقيق فنقول

Copyright © King Saud University